International Journal for Scientific Research (IJSR)

المجلة الدولية للبحوث العلمية

Vol. (3), No. (5) May 2024 الإصدار (3)، العدد (5)

المنهج النبوي في بناء الإنسان: المسؤولية الفردية في الإسلام أنموذجاً

أحمد بن علي الزاملي

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية

شروق بنت سعيد القحطاني

باحثة ماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية

shrouq1417sh@gmail.com

ملخص البحث

تبتغي هذه الدراسة البحثية التأصيل لموضوع «المنهج النبوي في بناء الإنسان المسؤولية الفردية في الإسلام أنموذجاً»، بعد أن غاب دور المسؤولية الفردية عن واقع المسلمين قروناً طويلة، للوصول إلى إبراز الوعي بالمسؤولية الفردية في السنة النبوية، لحسم الإجابة على سؤال: ما هو المنهج النبوي في بناء المسؤولية الفردية للإنسان في الإسلام؟، وقد اتبعنا هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي القائم على تصوير المسائل ثم تحليلها وتأصيلها شرعياً وفق مناهج البحث المعتمدة.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية الفردية، المنهج النبوي، بناء الإنسان، التكاليف.

The Prophetic Method in Building Human Individual Responsibility in Islam as a Model

Ahmed Ali Al-Zamli

Saudi Academic, Associate Professor, Department of Creed and Contemporary Doctrines, College of Sharia and Fundamentals of Religion, King Khalid University, Abha, Saudi Arabia

Shroog Saeed Al-Qahtani

Master Researcher, Department of Creed and Contemporary Doctrines, College of Sharia and Fundamentals of Religion, King Khalid University, Abha, Saudi Arabia

shrouq1417sh@gmail.com

International Journal for Scientific Research (IJSR)

المجلة الدولية للبحوث العلمية

Vol. (3), No. (5) May 2024 الإصدار (3)، العدد (5)

Research Summary

This research study seeks to establish the topic of "The Prophetic Method in Building Human Individual Responsibility in Islam as a Model," after the role of individual responsibility was absent from the reality of Muslims for many centuries, in order to reach an awareness of individual responsibility in the Sunnah of the Prophet, to resolve the answer to the question: What is the Prophetic Method? In building the individual responsibility of man in Islam? This study has followed the inductive, descriptive and analytical approach based on depicting the issues and then analyzing and establishing them legally according to the approved research methods.

Keywords: Individual Responsibility, the Prophetic Approach, Human Building, Costs.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد.

ندرك أن الجزاء بقدر المسؤولية، مما يوجب فهم المسؤولية الفردية التي عناها الإسلام، وأننا نعيش أدوراً مختلفة في تحمل مسؤولية مصير الأمة، والسعي بها تجاه الرقي والتقدم، خاصة عندما ندرك أن هذه المسؤولية ليست مجرد خواطر بشرية، ولكن نصوص ثابتة في القرآن والسنة، تبين لنا أن الإنسان محاسب يوم القيامة عن مسؤوليته تجاه الأمة ومدى وفائه بها، وهذا ما دفعنا إلى محاولة الكتابة في هذا المجال ببحث عنوانه: المنهج النبوي في بناء الإنسان المسؤولية الفردية في الإسلام أنموذجاً.

أهمية الموضوع

نظراً لأهمية واقعنا الإسلامي اليوم، وحاجته إلى التفاعل الإيجابي مع مستجدات الحياة، ولأهمية المسؤولية الفردية وتأثيرها على الأخلاق، ولما كانت قيمة الشيء رهينة بمقدار نفعه، فإن البحث في المنهج النبوي وما اشتمل عليه من شرائع وأحكام وحكم، أنفع شيء للعباد، في ظل تأخر المسلمين وتخلفهم المادي، وابتعاد كثير من أبناء المسلمين عن ينبوعه الصافي، وعن المسؤولية الفردية المطلوبة منهم، ما لزم معه إثبات قدرة الإسلام الدائمة على بناء الإنسان بناء أخلاقياً متوازناً مقارنة ببناء المذاهب المادية للإنسان؛ لأنه دين حق وحضارة -دين عالمي-، ومن هنا أتت أهمية هذه الدراسة.

مشكلة البحث

يأتي هذا البحث مجيباً على السؤال الرئيسي: **ما هو المنهج النبوي في بناء المسؤولية الفردية للإنسان في الإسلام؟**

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما هي سمات المنهج النبوي في بناء الإنسان؟

2- ما قيمة أفعال كل شخص بالنسبة إليه؟

3- كيف ربى النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على المسؤولية الفردية؟

4- ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين المسؤولية الفردية في الإسلام والمذاهب المادية؟

أهداف البحث

من خلال العرض السابق لملامح الإشكالية التي تحاول هذه الدراسة التصدي لها، يطلب ذلك تحقيق جملة من الأهداف، منها:

1. إظهار المسؤولية الفردية لتحقيق سعادة الإنسان في الدارين.
2. دراسة المسؤولية الفردية من خلال المنهج النبوي لبيان خصائص الإسلام وسموه.
3. ترجمة الأخلاق والتعاليم الإسلامية حيال المسؤولية الفردية.

الدراسات السابقة

بُذل الجهد في الوصول لدراسات تهتم بكشف هذا الجانب، ولم نقف على دراسة سابقة تناولت المنهج النبوي في بناء الإنسان المسؤولية الفردية في الإسلام أنموذجاً، جلّ ما وجِد لا يعدو أن يكون دراسة فيلاحظ الفرق بينها وبين هذه الدراسة ومن هذه الدراسات ما يلي:

1. **بناء الإنسان في القرآن والسنة،** عبد السلام محمد الأحمر ناقش بتاريخ 14 صفر 1418 موافق 19 يونيو 1997 رسالة دبلوم الدراسات العليا "شهادة الماجستير"، في الدراسات الإسلامية تخصص الفكر والحضارة بجامعة محمد الخامس بالرباط في موضوع "بناء الإنسان في القرآن والسنة"، تحت إشراف الأستاذ الدكتور فاروق حمادة ونال هذه الشهادة بميزة حسن جداً.

والفرق بين هذه الدراسة وبين دراستنا أن الدراسة ركزت على بناء الإنسان في القران والسنة بينما كان جُل تركيز دراستنا على المنهج النبوي في بناء الإنسان والمسؤولية الفردية.

2. **المسؤولية الفردية في القران الكريم دراسة موضوعية:** مذكرة مقدمة مكملة لنيل شهادة الماستر في التفسير وعلوم القرآن: إعداد: دحاني عبد العزيز، بو عزيز احمد اتبعت هذه الدراسة المنهج الموضوعي التحليلي الذي يعتمد على جمع المادة العلمية وتفسيرها كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية السنة الجامعية 1442 /1443 هـ 2021 /2022 م.

والفرق بين الدراسة هذه وبين دراستنا المنهج المتبع، لأنه اتبع في دراستنا المنهج التحليلي الاستقرائي القائم على تصوير المسائل ثم تحليلها وتأصيلها شرعياً وفق مناهج البحث المعتمدة.

أسباب اختيار الموضوع

من الأسباب التي دفعت إلى اختيار هذا الموضوع بالإضافة إلى الأمور السابقة في أهمية الموضوع، ما يأتي:

1. عناية الدين الشديدة بالمسؤولية الفردية في كثير من نصوصه الشرعية.
2. واقعنا الذي نعيشه فرق وجماعات وطوائف متفرقة يحتاج لبروز أثر المسؤولية الفردية.
3. الحاجة الملحة لقيام المجتمع الصالح.
4. رغبة الباحثان في عرض طرق بناء النبي صلى الله عليه وسلم للإنسان وتدرجه في تكوينه، للتعرف على طرق البناء النبوي وخطواته.
5. الرغبة في معرفة العلاقة بين الوعي والمسؤولية في البناء النبوي للإنسان.

منهج البحث

اتبع في هذه الدراسة المنهج التحليلي الاستقرائي القائم على تصوير المسائل ثم تحليلها وتأصيلها شرعياً وفق مناهج البحث المعتمدة، من أمور علمية مثل التخريج، والحكم على الأحاديث، والتوثيق، والتعريف بالأعلام، والفرق، والأماكن ونحو ذلك.

تقسيم البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات وفهارس علمية.

- المقدمة: وفيها أهداف وأهميّة الموضوع، والدّراسات السّابقة، وأسباب اختياره، ومنهجه، وتقسيمات البحث.
- التمهيد، مدخل مفاهيمي لمفهوم: "المنهج النبوي - المسؤولية الفردية- بناء الإنسان".
- المبحث الأول: سمات المنهج النبوي في بناء الإنسان.
  - المطلب الأول: ما تميز به المنهج النبوي عن غيره من المناهج.
  - المطلب الثاني: سمات المنهج النبوي في بناء الإنسان " جسديا – أخلاقيا – عقديا – ونفسيا".
- المبحث الثاني: منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) في تربية الصحابة وعلاقة هذه التربية ببناء الإنسان على المسؤولية.

- المطلب الأول: مفهوم التربية النبوية.
- المطلب الثاني: منهج النبي في تربية الصحابة.
- المطلب الثالث: الأمور التي تجعل اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم أولوية أساسية في الحياة.
- المطلب الرابع: الوعي والمسؤولية وعلاقته بالتربية والبناء.

- المبحث الثالث: المقارنة بين بناء الإنسان في الإسلام وفي المذاهب المادية.
- المطلب الأول: بناء المسؤولية الدينية في الإنسان المسلم، وآثارها في التاريخ الإسلامي.
- المطلب الثاني: مقارنة بين بناء المنهج الإسلامي وبين منهج الإنسان المادي، في التاريخ البشري.

- الخاتمة والتوصيات.
- قائمة المراجع والمصادر.

والشكر لله ثم لجامعة الملك خالد، ولكلية الشريعة وأصول الدين، ولقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، على حرصهم وتعاونهم، فالله أسأل أن يهب لكل هؤلاء من ثوابه كفاء ما قدموا لنا من صنوف العون، وأسأله -عز وجل- أن يبارك في الجهود وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مدخل

إن المتتبع للمنهج النبوي يدرك بأن تربية الإنسان المسلم وتكوينه وإعداده، ليكون إنسانا مسؤولاً، عابداً لله عن إرادة واختيار، عارفا بواجباته، مقتدرا على أدائها بإتقان وإحسان، وهذا مقصد ديني عام، تسعى لتحقيقه العقيدة والعبادات والأخلاق، وجميع أحكام الشريعة المختلفة... وإيماناً بأن الوحي هو أساس المنهج الأقوم لبناء الإنسان القوي الأمين، الصالح في نفسه المصلح لغيره.

وما من تكليف من تكاليف الشرع، أو حكم من أحكامه، إلا ويسهم بطريق مباشر أو غير مباشر، في بناء الإنسان وتربيته التربية الإسلامية الشاملة، لكن المسئولية هي الأساس العام لبناء الإنسان في القرآن والسنة، فالمسئولية هي أهم ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات عدا الجن. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسانۖإِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]

وابتلاء الإنسان بحمل الأمانة وممارسة المسئولية، هو الغاية من خلق الإنسان في الدنيا والآخرة، ومن بعث الرسل، وإنزال الكتب. فما من أمر أو نهي يرد في الشرع إلا وهو جزء من المسئولية العظمى التي اختص الله بها الجنس البشري.

ومن ثم فإن أسمى غاية يمكن أن يسعى إليها بناء الإنسان، وتنضبط لها وسائله ومناهجه، هي إعداد الإنسان إعدادا كاملا، للقيام بالمسئوليات الشرعية الملقاة على عاتقه في هذه الحياة الدنيا.

ثم إن الإحساس بالمسئولية بين يدي الله تعالى، هو أصل الإقدام على فعل الطاعات والمسارعة في الخيرات، والإحجام عن اقتراف الآثام والمنكرات.

البنية المفاهيمية:

تعريف المصطلحات التي لها صلة بالموضوع:

(المنهج النبوي – بناء الإنسان– المسؤولية الفردية).

المقصود بالمنهج النبوي:

لغة:

"هو الطريق الذي يبيّن به رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكامَ الدِّين. وبهذا نرى التقارب بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمنهج النبوي.

اصطلاحا:

عمليةُ بناءٍ متكاملةٍ وشاملة لأسلوب وطريقةِ الدعوةِ إلى اللهِ تعالَى تشتمِلُ على الطرق والأساليبِ والقواعِدِ والأصولِ المؤدية للدعوةِ إلى اللهِ تعالَى"[1].

بالإضافة إلى ذلك أن أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم هو إصلاح عقيدة أتباعه، وقد اعتمد أساليب علمية لبناء شخصية الإنسان المسلم، حيث اتصف بالصدق والأمانة والإيثار والمحبة والعمل والإتقان والإخلاص والعدل والمساواة. وهي جوانب وخصائص تميز بها المنهج النبوي.

المقصود ببناء الإنسان:

بناء الإنسان في اللغة: "مصدر بنى يبني بناء "ويستعمل مجازاً في معان تدور حول التأسيس والتنمية[2]. والبناء لغة وضع شيء على صفة يراد بها الثبوت[3]".

بناء الإنسان الاصطلاح: "هو بناء الفرد على الصّلاح في الدّين، وعلى الصّلاح للحياة، وعلى الاستقامة في السّلوك، والاستقامة في خوض معركة الحياة بقوّة وثقة في النّفس، والتّأهيل لخدمة المجتمع وتحقيق

[1] ياسين، عبد السلام، مقدمات في المنهاج، موسوعة سراج، ط 1، 1989م، 25.
[2] معجم اللغة العربية المعاصرة. للدكتور. أحمد مختار عبد الحميد عمر (١/٢٥٠).
[3] الكليات (ص ٢٤١).

أهدافه... هذا البناء إلى البدء من الأساس؛ من الأسرة والمسجد والمدرسة، والنّادي والجمعيّة والمؤسّسة[4]".

ومما يتضح لي أن البناء هو الأساس وهو الأصل الذي يعود له كل شيء وهو الركيزة التي تقام عليها الحياة.

المسؤولية:

"تُعرّف المسؤولية لغة: بأنّها التزام الشخص بما يصدر عنه من قول، أو فعل، كما قُسّمت المسؤولية في المعاجم إلى أنواع، وهي المسؤولية القانونية، والأخلاقية، والاجتماعية، والجماعيّة[5]".

أمّا اصطلاحاً: "فتُعرّف بأنّها قدرة الشخص على تحمّل نتائج أفعاله التي يقوم بها باختياره، مع علمه المسبق بنتائجها، كما أنّها شعور أخلاقي يجعل الإنسان يتحمّل نتائج أفعاله، سواء كانت أفعالاً جيّدة، أم أفعالاً سيّئة[6]".

المقصود بالمسؤولية الفردية:

والمسؤولية الفردية الذي يعني التزام المرء بقوانين المجتمع وتقاليده ونظمه المختلفة ويكون الفرد مسؤول عما يخرج من قول أو فعل، أما عن المسؤولية الاجتماعية فهي مسؤولية مجموعة من الأفراد الذين يتم محاسبتهم على أفعالهم وأقوالهم ككل ويتحملون نتائج أفعالهم سويًا.

المبحث الأول: سمات المنهج النبوي التربوي في بناء الإنسان:

بعث الله برحمته وفضله النعمة المسداة محمداً -صلى الله عليه وسلم- ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، قال -تعالى-: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[آل عمران: 164]. فجاء النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- مزكياً مربياً، ومعلماً مصلحاً، فجاهد -صلى الله عليه وسلم- لتحقيق هذه الغاية أعظم الجهاد، وبذل النفس والنفيس حتى تحقق له ما يريد، فربى أصحابه -رضي الله عنهم- أكمل التربية، وعلّمهم أحسن التعليم، فكانوا جيلاً فريداً لا نظير له ولا مثيل.

"إن هذا التحول الكبير، والنجاح العظيم، الذي حققه -صلى الله عليه وسلم- في صناعة الأمم والأجيال، حتى ارتفعت الأمة من السفوح إلى قمم الجبال، كان نتيجة منهج تربوي تعليمي دعوي رصين، له معالمهُ

---

[4] ابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ٩٣، وإبراهيم مصطفى وآخرون المعجم الوسيط، ٢/ ٦ - ٧، ٧٢١، مواد (بني وعمر)

[5] "تعريف ومعنى المسؤولية في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي"،

[6] سجاد أحمد بن محمد أفضل (29-1-2015)، "تعريف المسؤولية"

وسماتهُ، وهو بلسم ودواء أصيل لما نزل بالأمة من انحدار وانكسار وذلةٍ وهوانٍ، فعلى الدعاةِ وأهل التربية والتعليم أن يتأملوا منهج النبي -صلى الله عليه وسلم-، وطريقته في تربيته وتعليمه ودعوته، ويدرسوا هذا المنهجَ دراسة متأنية متفحصة لتحديد معالمِه، واستنباط سماتهِ وخصائصه، فلن يصلحَ آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أوله[7]".

من سمات هذا المنهج النبوي تربيةُ الناس على تصحيح وتصفية المقاصد، خاصة إذا كان العلم علماً شرعياً دينياً، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من تعلم علماً يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة)، أي: ريحها[8].

المطلب الأول: ما تميز به المنهج النبوي عن غيره من المناهج:

"حينما نتكلم عن المنهاج النبوي فإننا نتكلم عن مصطلح قراني بامتياز ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] أي: طريقاً في التفكير واضحا في الدين تجرون عليه[9]"

ولو انه اقتحم بقوة مجال التداول في العصر الحالي باعتباره الناظم والمحدد لمجالات وطرق التفكير العقلاني والمنهاج النبوي الذي رسم معالمه الوحي الرباني، وحدد وظائفه ومقاصده محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره المبلغ عن الله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 4] أي: وحي من الله يوحى إليه[10].

ويتميز عن غيره من المناهج بسمات ثلاث هي:

أولاً: " مرجعيته الربانية التي هي سر شموليته وتكامله وانسجامه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، يقول تعالى آمراً عباده بتدبر القرآن، وناهيا لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق؛ لو كان مفتعلاً مختلقاً، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي: اضطراباً وتضاداً كثيراً. أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله[11]".

---

[7] منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في التربية والتعليم
خالد بن عبد الله المصلح
تاريخ النشر: 2022-10-12 - 16/03/1444

[8] أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما بسند جيد.

[9] محاسن التأويل (ج 4 - ص 157).

[10] معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي (ج 7 - ص 400).

[11] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج 2 - ص 364)

ثانياً: تحقيقه لمصالح العباد الآجلة والعاجلة فالله هو ولي المؤمنين ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: 31]، أي تقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة" نحن أولياؤكم" قال: أي نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة. وقيل: أي نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة. ويجوز أن يكون هذا من قول الله تعالى، والله ولي المؤمنين ومولاهم.

ثالثاً: صلاحيته لكل زمان ومكان لمرونة قواعده، وشمولية مقاصده، وشرف ونبل وسائله، ويعني المنهاج النبوي ما يطلق عليه في المصطلح القرآني "الصراط المستقيم" وفي المصطلح النبوي "المحجة البيضاء"، ونظرا لما تتميز به ملامح العبقرية في هذا المنهاج، وصلاحيته لتنقية السلوك الإنساني من شوائب التعصب والتحجر، وغوائل الانفلات والتحلل، ولما تتميز به من طرافة وجدة ورصانة وتأصيل.

وبما أن معرفة حقيقة المنهاج النبوي لا تتم إلا من خلال استيعاب وظائفه ومقاصده، ونظرا لتشعب الموضوع وعمق واتساع مجالاته فسأشير إلى:

بعض النقاط الدالة من وظائف ومقاصد المنهاج النبوي:

إن من أهم هذه الوظائف:

أولاً: "تهيئة المسلم لاقتحام العقبة قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: 11]، أي فهلا أنفق ماله الذي يزعم أنه أنفقه في عداوة محمد، هلا أنفقه لاقتحام العقبة فيأمن! والاقتحام: الرمي بالنفس في شيء من غير روية[12]، وأفلح وفاز من اجتازها متحديا سلطان الجسد، وما تميل إليه النفس من ملذات ومتع غالبا ما تغوي من أخلد إلى الأرض واتبع هواه، واقتحمها الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم".

ثانياً: تجسيد القيم الخلقية في سلوك عملي، فقد بعدت الشقة، ما بين الدين والتدين، وقد تنبه لهذا الواقع عبد الله بن عمر حين لاحظ أن البعض يقرأ القرآن "ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرى ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه فينثره نثر الدقل"[13].

---

[12] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي (ج 20 - ص 66).

[13] سنن البيهقي الكبرى، جماع أبواب صلاة الإمام وصفة الأئمة باب البيان أنه إنما قيل يؤمهم أقرؤهم إن من مضى من الأئمة كانوا يسلمون كبارا فيتفقهون قبل أن يقرأوا مع القراءة رقم الحديث (5073).

البيهقي (458 هـ): الإمام الحافظ، العلامة، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي، شيخ خراسان وصاحب التصانيف. وبيهق هي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخا منها. ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. سمع من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي وأبي عبد الله الحاكم وأبي عبد الرحمن السلمي وخلق سواهم. وروى عنه أبو إسماعيل الأنصاري بالإجازة، وأبو زكريا بن مندة الحافظ، وأبو عبد الله الفراوي، وطائفة سواهم. توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ودفن ببيهق. (البداية والنهاية (12/ 100).

ثالثاً: التخلق بخلق الصبر والتواصي به وبالحق فعباد الرحمن نالوا الجزاء السني والمقام العلي بالصبر ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: 75][14].

المطلب الثاني: ارتباط المنهج النبوي بالقران والسنة:

إذا كانت السنة مبيّنة للقرآن وموضّحة له، وإذا كان القرآن قد دل على كل ما في السنة إجمالا وتفصيلا على رأي المحققين من العلماء، أخذا بقول الله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]، فعلى أي وجه تم ذلك مع أننا نرى أحكاما كثيرة لم ترد في القرآن؟ وكيف اشتمل القرآن على السنة؟

يذكر العلماء في ذلك خمسة طرق، نُجملها فيما يلي:

الأولى: أن القرآن دل على وجوب العمل بالسنة، فكل عمل بما جاءت به السنة عملٌ بالقرآن، ويدل عليها ما رُواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب - وكانت تقرأ القرآن - فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته. فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

الثانية: أن الكتاب مجمل والسنة مفصلة له, كالأحاديث الواردة في بيان ما أُجمِل ذكره من الأحكام، إما بحسب كيفيات العمل أو أسبابه أو شروطه، أو موانعه أو لواحقه أو ما أشبه ذلك، فبيانها للصلوات على اختلافها في مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها، وبيانها للزكاة في مقاديرها وأوقاتها ونصب الأموال المزكاة، وبيان أحكام الصوم مما لا نص عليه في القرآن، وكذلك أحكام الحج والذبائح والأنكحة وما يتعلق بها، والبيوع وأحكامها، والجنايات من القصاص وغيره، مما وقع بيانًا لما أُجمِل في القرآن، وهو الذي يظهر دخوله تحت قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

الثالثة: النظر إلى المعاني الكلية التي يقصدها التشريع القرآني في مختلف نصوصه، وأن ما في السنة من أحكام لا يعدو هذه المقاصد والمعاني، وتفصيل ذلك أن القرآن جاء بتحقيق السعادة للناس في حياتهم الدنيا والأخرى، وجمع السعادة في ثلاثة أشياء:

[14] مميزات المنهج النبوي د. سمير مثنى علي الأبارة مقالات متعلقة تاريخ الإضافة: 2016/12/10 ميلادي - 1438/3/10 هجري شبكة الألوكة.

1- الضروريات: وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

2- الحاجيات: وهي كل ما يؤدي إلى التوسعة ورفع الضيق والحرج، كإباحة الفطر في السفر أو المرض.

3- التحسينات: وهي ما يتعلق بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

هذه الأمور الثلاثة ومكملاتها قد جاء بها القرآن الكريم أصولاً يندرج تحتها كل ما في القرآن من أحكام، وقد جاءت بها السنة تفريعًا عن الكتاب وتفصيلاً لما ورد فيه منها، فجميع نصوص السنة ترجع بالتحليل إلى هذه الأصول الثلاثة.

الرابعة: أن القرآن قد ينص على حكمين متقابلين، ويكون هناك ما فيه شبه بكل واحد منهما، فتأتي السنة وتلحقه بأحدهما أو تعطيه حكمًا خاصًا بما يناسب الشبهين، وقد ينص القرآن على حكم بشيء لعلة فيه، فيلحق به الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما وجدت فيه العلة عن طريق القياس.

أمثلة للحكمين المتقابلين:

- أن الله أحل الطيبات وحرم الخبائث، فبقيت أشياء لا يدري أهي من الطيبات أم من الخبائث، فبين النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها ملحقة بإحداهما، فنهى عن أكل كل لحوم الحمر الأهلية، كما ألحق الضب والحبارى والأرنب وأشبهها بالطيبات.

- أحل الله صيد البحر فيما أحل من الطيبات، وحرم الميتة فيما حرم من الخبائث، فدارت ميتة البحر بين الطرفين فأشكل حكمها، فقال عليه الصلاة والسلام: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) رواه الأربعة، وقال أيضا: (أحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان: فالسمك والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال) رواه ابن ماجه.

أمثلة لما أعطي حكمًا خاصًا بين شبهين:

- أحل الله النكاح وملك اليمين، وحرم الزنى، وسكت عن النكاح المخالف للشرع، فإنه ليس بنكاح محض ولا سفاح محض، فجاء في السنة: (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل منها) رواه أبو داود.

- جعل الله النفس بالنفس، وأقصَّ من الأطراف بعضها من بعض، أما في الخطأ: ففي القتل الدية، وفي الأطراف دية بينتها السنة، فأشكل بينهما الجنين إذا أسقطته أمه بضربة من غيرها، فإنه يشبه جزء الإنسان كسائر الأطراف، ويشبه الإنسان التام لخلقته، فبينت السنة أن ديته الغرة - وهي عبد أو أمة - والحديث متفق عليه، وأن له حكم نفسه لعدم تمحض أحد الطرفين له.

الخامسة: إرجاع كل ما في السنة من الأحكام التفصيلية إلى الأحكام التفصيلية الموجودة في القرآن، ومن أمثلته: - عندما طلق عبد الله بن عمر زوجه وهي حائض، قال - عليه الصلاة والسلام - لعمر - رضي الله عنه -: (مره فليراجعها ثم يتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء) متفق عليه، يعني أمره في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1].

هذه هي أهم المسالك التي سلكها العلماء للبرهان على احتضان القرآن للسنة وانضوائها تحت رايته، ومنها كما رأينا مسالك عامة لا تدل إلا على أن القرآن دل على وجوب العمل بها، ومنها ما لا ينفرد وحده بسلك جميع أحكام السنة في الطريق الذي اختاره، ومنها ما يتسع لذلك[15].

المبحث الثاني: منهج النبي - صلى الله عليه وسلم- في تربية الصحابة وعلاقة هذه التربية ببناء الإنسان على المسؤولية:

المطلب الأول: مفهوم التربية النبوية:

إن السنة النبوية وضعت للتربية تعريفًا أدق وأشمل، فهي ترى أن التربية هي عملية رعاية، وكلمة رعاية توحي بدلائل وتضمينات تربوية أكثر من غيرها، فمن دلائلها وتضميناتها كونها عملية اهتمام وحرص ورقابة وتعهد وحدب وتهذيب وسمو ورفع وترقية وتزكية وعناية متكاملة لمن توجه إليه رعاية الراعي المسؤول.

التربية النبوية هي التربية الصالحة في كل زمان ومكان وذلك لأنها:

1- تقوم على الإيمان بالله _تعالى_ ومراقبته والإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والاقتداء بسيدنا محمد _صلى الله عليه وسلم_.

2- تربية عملية وليست نظرية، فهي حقيقة واقعية.

3- تقوم على استشعار الأبوين دورهما ووظيفتهما، وتحثهما على تنشئة ورعاية الطفل.

4- تقوم على التهذيب الجنسي للطفل والمحافظة عليه من الوقوع في الفاحشة، وتختلف عن أي تربية أخرى.

5- تبدأ بتدريب الطفل على التكاليف الشرعية في السابعة من عمره وحتى سن البلوغ.

---

[15] اشتمال القرآن على السنة الكاتب: إسلام ويب
التصنيف: مكانة السنة النبوية.

6- تنظر إلى أن كل ما يقدم من خير للطفل على أنه عبادة يثاب عليها الكبار وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

7- ترسخ في الطفل الخوف من الله _تعالى_ (وسؤاله عن كل شيء) والاستعانة به في قضاء الحاجات ومواجهة الأحداث.

8- تجعل للطفل رسولَ الله _صلى الله عليه وسلم_ قدوةً له في كل شيء، فهو يتفاعل مع قدوة واحدة وشخص واحد.

9- تنمي في الطفل بر الوالدين وطاعتهما.

10- تنشئ الطفل نشأة متوازنة تلبي حاجات الروح والجسد والعقل والقلب.

11- تنمي في الطفل العقيدة الصحيحة السليمة التي تتحطم معها كل شبهة وكل شهوة.

12- تقوم على الحق والصدق ودعوة الآخرين إلى الكتاب والسنة وما يترتب عليها في الدنيا والآخرة.

13- توزع المسؤولية بين الأب والأم تجاه تربية الأولاد.

14- تنمي الخيال عند الأطفال بحقائق موجودة كأخبار الرسل وقصص القرآن وأوصاف الجنة والنار[16].

المطلب الثاني: منهج النبي في تربية الصحابة:

"أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ربى أصحابه على المحبة واجتماع القلوب، فقد كان أول عمل قام به - صلى الله عليه وسلم - في الإصلاح والتأسيس بناء المسجد النبوي، واشترك المسلمون جميعًا في البناء، وعلى رأسهم إمامهم محمد - صلى الله عليه وسلم - وكان أول عمل تعاوني عام، وَحَّد بين القلوب، وأظهر الهدف العام للعمل، وقد كان لكل حي في المدينة - قبل قدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - مكان يلتقون فيه، فيسمرون ويسهرون، وينشدون الأشعار، فكانت هذه الحال تدل على الفرقة والاختلاف، فعندما بُنِيَ المسجد كان مركز المسلمين جمعيًا، ومكان تجمعهم، يلتقون به في كل وقت، ويسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيعلمهم ويرشدهم ويوجههم[(17)]".

وبهذا تجمعت الأندية، والتفَّت الأحياء، واقتربت القبائل، وتحابَّت البطون، وانقلبت التفرقة إلى وحدة، ولم تعد في المدينة جماعات، بل جماعة واحدة، ولم تعد زعامات، بل قائد واحد، هو رسول الله - صلى

[16] ينظر كتاب منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ سويد.
[(17)] ينظر: البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه 239/7، 240 (رقم 3906)

الله عليه وسلم - يتلقى من ربه الأوامر والنواهي، ويُعلّم أمته، فأصبح المسلمون صفًّا واحدًا، وامتزجت النفوس والعقليات، وتقوت الوحدة، وتآلفت الأرواح، وتعاونت الأجسام[18].

ولم يكن المسجد موضعًا لأداء الصلوات الخمس فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ويجتمعون فيه، وتلتقي فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، وبثّ الانطلاقات، وموضعًا لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية.

ولهذا ما أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكان في المدينة إلا كان أول ما يفعله بناء مسجد يجتمع فيه المؤمنون، فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف، بين قباء والمدينة، في بطن وادي (رانوناء) فلما أن وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد فيها[19].

كما قام النبي - صلى الله عليه وسلم - ببناء المسجد ووحّد بين القلوب كذلك قام - صلى الله عليه وسلم - بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا من الرشد، والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية[20].

آخى بينهم - صلى الله عليه وسلم - في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلًا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله - عز وجل -: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 75]، ردّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة[21].

ذابت عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وكانت عواطف الأخوة، والإيثار؛ والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال؛ وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية[22].

---

[18] انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 161/2، 162، والرحيق المختوم ص179.

[19] نظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص74، وفقه السيرة ص189، وهذا الحبيب يا محب ص180.

[20] انظر: هذا الحبيب يا محب، لأبي بكر الجزائري ص178.

[21] انظر: زاد المعاد 63/3، والرحيق المختوم ص180.

[22] انظر: زاد المعاد 63/3، والرحيق المختوم ص180.

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دُوِّنت على الورق فحسب، ولا كلمات قيلت باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب، وعملًا يرتبط بالدماء والأموال، لا كلامًا يثرثر به اللسان، إنها مؤاخاة في القول والعمل، والنفس والمتاع والأملاك، في العسر واليسر[23].

"ومن أروع الأمثال لذلك ما رواه البخاري في صحيحه: آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا، فسأقسم مالي بيني وبينك نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدوة ثم جاء يومًا وبه أثر صُفرة، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (مَهْيَم؟"[24]. قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: "ما سقت فيها؟" قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: "أولِم ولو بشاة)[25]".

وهذه المؤاخاة حكمة فذَّة، وسياسة صائبة، وحلٌّ رائعٌ لكثير من المشكلات التي كان يواجهها المسلمون.

وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يتعهد أصحابه رضي الله عنهم بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة[26].

فقد كان يقول - صلى الله عليه وسلم -: (يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)[27]، ويقول: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)[28]، ويقول: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[29]، ويقول: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[30]، ويقول: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا)، وشبك بين أصابعه[31]، ويقول: (لا

---

[23] انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 165/2، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص192.

[24] مهيم: كلمة استفهام، أي: ما حالك، وما شأنك؟ انظر: القاموس المحيط، باب الميم، فصل الميم، ص1499.

[25] البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي - - صلى الله عليه وسلم - - بين المهاجرين والأنصار، 112/7 حديث رقم 3780، 3781، واللفظ من الموضعين، وانظر: باب كيف آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه، في الكتاب السابق نفسه.

[26] انظر: الرحيق المختوم ص179، 181، 208، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر 165/2.

[27] أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار 652/4 (رقم 2485)، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، 1083/2 (رقم 3251)، والدارمي 156/1، وأحمد 165/1، 391/2، وانظر: صحيح الترمذي، 303/2.

[28] مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، 68/1 (رقم 46).

[29] البخاري مع الفتح، في كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل 54/1 (رقم 11)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل 65/1 (رقم 41)، واللفظ له.

[30] البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه 56/1 (رقم 13)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه 67/1 (رقم 45).

[31] البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد 565/1 (رقم 481)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم 1999/4 (رقم 2585).

تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا" - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله وعرضه)[32]، وقال - صلى الله عليه وسلم -: (انصُر أخاك ظالمًا أو مظلومًا" قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلومًا، فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: "تحجزه أو تمنعه من الظلم فذلك نصره)[33]، وقال: (حق المسلم على المسلم ست"، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعه)[34].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبع ونهانا عن سبع: (أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونصر المظلوم، وإبرار المقسم، ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشُّرب في الفضة" - أو قال: "في آنية الفضة - وعن المياثر[35] والقسي[36] ، وعن لبس الحرير، والديباج[37] والإستبرق)[38].

وسواء وصلت هذه النصوص للأنصار من النبي - صلى الله عليه وسلم - مباشرة، أو سمعوا بعضها من المهاجرين الذين سمعوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل الهجرة، فكل ذلك تربية منه - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه جميعًا، ولمن بلغته هذه النصوص إلى يوم الدين.

وغير ذلك من النصوص التي ربّى بها محمد - صلى الله عليه وسلم - أصحابه فقد كان يحثهم على الإنفاق، ويذكر من فضائله ما يشوِّق النفوس والقلوب، وكان يحث على الاستعفاف عن المسألة، ويذكر لهم فضل الصبر والقناعة، وكان يرغبهم في العبادات بما فيها من الفضائل والأجر والثواب، وكان يربطهم بالوحي النازل من السماء ربطًا موثقًا يقرؤه عليهم ويقرؤونه؛ لتكون هذه الدراسة إشعارًا بما عليهم من حقوق الدعوة، فضلًا عن ضرورة الفهم والتدبر. وهكذا رفع - صلى الله عليه وسلم - معنوياتهم، ودربهم

---

[32] مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وتحريم دمه وعرضه وماله 1986/4 (رقم 2564).

[33] أخرجه مسلم في كتاب البر، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً 1998/4 (رقم 2584)، بمعناه، وأخرجه أحمد بلفظه 99/3، والبخاري مع الفتح في كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً 98/5 (رقم 2443، 2444)، وكتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه 223/12 (رقم 6952).

[34] البخاري مع الفتح بنحوه في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز 112/3 (رقم 1240)، ومسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام (1705/4)، برقم 2162.

[35] المياثر: سروج من الديباج أو الحرير. الفتح 293/10.

[36] ثياب مضلعة بالحرير: أي فيها خطوط منه. الفتح 293/10

[37] الديباج والإستبرق: صنفان من الحرير. انظر: فتح الباري 307/10.

[38] البخاري مع الفتح، في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز 112/3 (رقم 1239)، 99/5، 240/9، 96/10، وانظر مواضع الحديث في البخاري مع فتح الباري 112/3.

على أعلى القيم والمثل حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال الإنساني. بمثل هذا استطاع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبني مجتمعًا مسلمًا أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلًا بعد أن كان يعيش في ظلمات الجهل والخرافات، فأصبح مجتمعًا يضرب به المثل في جميع الكمال الإنساني، وهذا بفضل الله وحده، ثم بفضل هذا النبي الحكيم، فحَريٌّ بالمسلمين أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه - صلى الله عليه وسلم[39].

قال الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159] بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم[40].

المطلب الثالث: الأمور التي تجعل اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم أولوية أساسية في الحياة:

ما هو المقصد من إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم؟

لتغيير واقع الناس عقدياً، ونفسياً، وفكرياً، وخلقياً، وعبادياً، واجتماعياً... إلى الأقوم والأحسن.

وإن البناء التربوي للمسلم ضرورة لازمة وأساس هذا البناء يكون ببناء مسلم الذي يحب الله ورسوله ويرتبط بالقرآن ويسعى طول حياته لفهم هديه واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ابتغاء مرضاة الله تعالى فهو ضرورة لازمة في مجتمعنا لأنه الأساس المتين في بناء الشخصية الرسالية التي يسعى المربون للوصول إليها لان الفطرة قابلة للتشويه بمقتضى البيئة التي يعيش الشخص فيها لذلك كان الكفر ليس من ذات المولود مقتضى طبيعته بل إنما حصل بسبب خارجي فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق[41]، كما جاء في الحديث الصحيح: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة)[42].

وأن اتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولوية أساسية ودل ذلك من خلال:

- محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان رحمته بأمته.
- النبي صلى الله عليه وسلم هو خير من فهم كتاب الله وطبقه، وعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم كل العلوم التي تحتاجها البشرية.
- خلاصة السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى دولة الإيمان والعدل والرحمة لذلك لم تعرف البشرية العدل والرحمة إلا تحت راية الإيمان وتحت راية الإسلام ويحتاج الإيمان الى حماية

[39] انظر: الرحيق المختوم، ص183

[40] تربية النبي لأصحابه الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني شبكة الألوكة 2013/10/1 ميلادي - 1434/11/26 هجري.

[41] (ابن حجر، 248/3).

[42] الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

الدولة حتى ينتشر العدل والرحمة.

- اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون ببناء الإيمان والعدل في النفس أولا ثم الرحمة ثم السعي ببناء الإنسان والمجتمع والدولة[43].

المطلب الرابع: الوعي والمسؤولية وعلاقته بالتربية والبناء:

أداء المسؤولية الاجتماعية في الإسلام واجب ديني وفضيلة إسلامية سبق الإسلام بها الأفكار والنظم المعاصرة، وواجب المسلمين أداء هذه المسؤولية استجابة لأمر الله - عز وجل- ولأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم- قبل أن يكون تقليدًا أو تنفيذًا لاتفاق عالمي أو دعوات من نظم مستوردة.

ولقد بينت السنة الشريفة المسؤولية الاجتماعية أبلغ بيان؛ ففي الحديث الذي رواه ابن عمر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول، فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها، وهي مسؤولة، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) [44].

فمن القيم العظيمة التي أرساها الإسلام ودعا إليها وربَّى عليها أتباعه تحمل المسؤولية، خاطب بذلك الأفراد والمجتمع والأمة وجعل القيام بهذه المسؤولية سببًا للحياة السعيدة الطيبة والنجاة في الآخرة؛ فتزكية النفس والمحافظة عليها مسؤولية، والقيام بالحقوق الأسرية مسؤولية، وإتقان الأعمال والقيام بالواجبات الوظيفية مسؤولية، وتقلد المناصب والمراكز الهامة مسؤولية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساهمة الجادة في تقوية روابط المجتمع ونشر الخير والتعاون على البر مسؤولية، وهكذا المسؤولية في حياتنا تظهر في جميع سلوكياتنا وتصرفاتنا؛ رجالاً ونساء، شبابًا وشيوخًا، حكامًا ومحكومين، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:92]. وقال أيضا سبحانه: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:24].

فكل عمل مكلف به شرعًا أو التزمت بالقيام به وكان فيه مصلحة لك أو لغيرك فهو مسؤولية ينبغي عليك القيام بها على أحسن حال؛ فالمسؤولية فردية؛ لأن التكليف فردي والحساب كذلك يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:95]، إن للفرد منا مسؤولية أمام الله - سبحانه وتعالى - وتجاه رسوله - صلى الله عليه وسلم - ودينه وأمته ومجتمعه ووطنه يجب أن يؤديها وعليه مسؤولية تجاه بيته وأسرته وأولاده، وعليه مسؤولية سيسأل عنها يوم القيامة تجاه أخلاقه وسلوكه، وعليه مسؤولية تجاه عمله ودراسته ووظيفته ومنصبه يجب أن يقوم بها.

---

[43] (النووي،1392، 13/2 بتصرف).

[44] متفق عليه (البخاري

أن الإسلام دعا إلى المسؤولية وربى عليها أتباعه، تحمل المسؤولية، خاطب بذلك الأفراد والمجتمع والأمة، وجعل القيام بهذه المسؤولية سببًا للحياة السعيدة الطيبة والنجاة في الآخرة؛ فتزكية النفس والمحافظة عليها مسؤولية والقيام بالحقوق الأسرية مسؤولية وإتقان الأعمال والقيام بالواجبات الوظيفية مسؤولية وتقلد المناصب والمراكز الهامة مسؤولية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساهمة الجادة في تقوية روابط المجتمع ونشر الخير والتعاون على البر مسؤولية، وهكذا المسؤولية في حياتنا تظهر في جميع سلوكياتنا وتصرفاتنا.

إن الشعور بالمسؤولية والقيام بها وأداءها على أكمل وجه يجب أن يصبح في حياتنا خلقًا وسلوكًا وضرورةً تمارس في واقع الحياة حتى لا يحدث التساهل في الواجبات وحتى لا تضيع الحقوق وحتى تنجز الأعمال وتنجح المشروعات وتسود الأخلاق وقيم الخير في المجتمعات، يعد التعليم بمختلف مؤسساته التربوية أحد الروافد المهمة للأسس الاجتماعية الرائدة والفاعلة التي تحقق أدوارًا بارزة في تكوين وبناء شخصية الفرد، وتكوين ولائه لوطنه وأمته، وتمسكه بالقيم والروابط العاطفية والنفسية تجاههما، وذلك بما تهيأ له من نمو معرفي وعقلي واجتماعي ووجداني وبدني، بما يتوفر لديها من قوى تربوية وتوجيهية فاعلة تسهم في بناء الشخصية السوية للناشئة، وأن من أهم الممارسات التربوية الأسرية التي تزيد من ثقة الأبناء بأنفسهم وتشعرهم بتحمل المسؤولية: تنمية القيم الاجتماعية لدى الأبناء - مجالس الرجال - مجلس شورى العائلة، وهو مظهر تربوي يدل على التفاهم، والانسجام، مما يتيح للأبناء التعبير عن ذاتهم والمشاركة في اتخاذ القرار، وبالتالي يشعر الأبناء بتحمل المسؤولية.

للمسجد دور كبير ومهم في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع وذلك من خلال الآتي:

- تقوية ارتباط الناشئة من الأبناء الذكور في الجماعة عن طريق تعويدهم لأداء الصلوات الخمس في المساجد في وقت مبكر من مراحل أعمارهم وألفتهم لذلك.

- تجسيد دور الجماعة في نصرة الأمة وتفعيل الخصال الحميدة فيما بين أفرادها عن طريق ارتباطهم كجماعة مع ربهم خمس مرات في اليوم والليلة وعن طريق التحام الصفوف مع بعض وتعارفهم فيما بينهم وتدارسهم لأحوال بعض وتأكيد غرس المحبة والألفة والتعاون والتماسك: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا) حديث صحيح. تعد العبادات بعامة، أبرز الوسائل التي تعين على تقوية الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد، فالاجتماع ظاهر في الصلوات كلها، وفي الزكاة تعامل مع ثمانية أصناف من أبناء المجتمع، ويظهر معنى الجماعة جليًا في الصوم حين يمسك أبناء المجتمع الواحد في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، كذلك الحج مؤتمر جامع للمسلمين يبرز فيه مفهوم الأمة الواحدة.

- للوقف الإسلامي دور مهم في تفعيل مبدأ المسؤولية الاجتماعية للشركات.

فنظام الوقف من النظم الدينية التي أصبحت في ظل الإسلام مؤسسة عظمى لها أبعاد متشعبة دينية واجتماعية واقتصادية وثقافية وإنسانية، كانت هذه المؤسسة في ظل الحضارة الإسلامية تجسيدًا حيًّا للسماحة والعطاء والتضامن والتكافل، غطت أنشطتها سائر أوجه الحياة الاجتماعية وامتدت لتشمل المساجد والمرافق التابعة لها والدعوة والجهاد في سبيل الله، والمدارس ودور العلم والمكتبات، والمؤسسات الخيرية، وكفالة الضعفاء والفقراء والمساكين والأرامل، والمؤسسات الصحية.

على الأسرة القيام بدورها في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى أفرادها من خلال الآتي:

- اعتماد المنهج الإسلامي في تربية الأبناء، وتنشئتهم وفق القيم والمبادئ الإسلامية.
- توضيح أن الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان.
- تربية الأبناء على أن هذه الحياة الدنيا مرحلة زائلة تتطلب الإنتاجية والعمل وفق شرعة الله ويستثمر فيها المسلم طاقاته لتقوية إيمانه بالله - سبحانه - والعمل للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة الذي أمر به، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.
- إيضاح التصور الإسلامي الكامل للأبناء تجاه الكون والإنسان والحياة، وأن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى، ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.
- العناية بإشباع حاجات الأبناء النفسية والاجتماعية والجسمية والاهتمام بصحتهم البدنية والنفسية.
- القدوة الصالحة للأبناء في السلوك والتعامل.
- معاونة الأبناء على اختيار الأصدقاء الأخيار والابتعاد عن أصدقاء السوء.
- مشاركة مؤسسات المجتمع المختلفة في إبداء الرأي حول ما يسهم في صلاح ورعاية أبنائها.
- المتابعة المستمرة للأبناء وتنمية السلوك السليم لديهم، وتعويدهم على احترام الآخرين والمحافظة على المرافق العامة والخاصة.

على الدعاة ورجال الوعظ القيام بما يلي:

- استثمار الخطب والمحاضرات والندوات والدروس وجميع النشاطات الأخرى لبناء الإنسان المسلم الذي يعبد ربه على بصيرة ويتحلى بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، ويبتعد عن الغلو والتطرف وتوجيه أفراد المجتمع المسلم إلى مسؤولياتهم وواجباتهم والمحافظة على أدائها في منظومة العمل الاجتماعي للمحافظة على سفينة الحياة لتحقيق التالي:

- تعزيز انتماء الفرد المسلم إلى وطنه والمحافظة على أمنه واستقراره.
- العمل على توطيد مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع تعاونًا ومحبة وإخاء وإيثارًا للمصلحة الخاصة على المصالح العامة.
- نشر الوعي بعظم المسؤولية للفرد والأسرة وأفراد المجتمع تجاه أنفسهم وتجاه وطنهم وأمتهم والإنسانية أجمع.
- الحرص على تربية النشء ورعايتهم وتوجيههم بما يعود عليهم بالنفع والفائدة.
- التأكيد على مبدأ التضامن بين أفراد المجتمع وأهمية تعاونهم ودرء الأخطار عنهم، واحترام بعضهم البعض وتعاونهم في أعمال الخير والتقيد بأنظمة المجتمع وقيمه الإسلامية.
- توثيق الارتباط بين المسجد ومؤسسات المجتمع من خلال استثمار مختلف النشاطات والفعاليات والمناسبات لكل منها[45].

المبحث الثالث: المقارنة بين بناء الإنسان في الإسلام وفي المذاهب المادية:

المطلب الأول: بناء المسؤولية الدينية في الإنسان المسلم، وآثارها في التاريخ الإسلامي:

إن المتفكر في حقيقة المسؤولية في القرآن والسنة وأبعادها، تتجلى له خصائص عديدة لها،

ومن أبرز تلك الخصائص:

1. الثبوت: إن المسؤولية في الإسلام ثابتة ثبوتاً قطعياً، لأنها من مقتضيات صفة التكليف. فكل مكلف مسؤول عما فعل فيه لقوله تعالى: ﴿وقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: 24]، أي: مسؤولون عن جميع أقوالهم وأفعالهم[46]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:44]، أي: تسألون عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له[47]، ومن هنا سمي يوم القيامة بيوم الجزاء، ويوم الحساب. وحاشا لله أن يترك عباده سدى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:36].

2. العموم: المسؤولية في الإسلام تعم الخلق، فلا يفلت منها أحد، فكل إنسان سيحاسب حسب أعماله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، سواء أكان نبيا رسولا، أو كان عبداً تقيا صالحا، أو ضعيفاً مقصرا، أو

[45] ينظر ملخص بحث: تنمية الشعور بالمسؤولية عند أفراد المجتمع (بحث تاسع)
خاص شبكة الألوكة تاريخ الإضافة: 2013/5/25 ميلادي - 1434/7/15 هجري.
[46] تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي، ص: 446، الطبعة الأولى 1420هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
[47] تفسير القرآن العظيم، لإمام ابن كثير، ص: 1681، الطبعة الأولى 1420هـ، دار ابن حزم، بيروت.

فاجراً ظالما لنفسه، وسواء أكان حاكماً أو محكوماً، رجلاً أو امرأة. فلو تتبعنا خطابات القرآن الكريم لوجدنا أنها موجهة إلى كل فرد مكلف من بني آدم على تفاوت تعالى واجتناب نواهيه وهذا ما قرره القرآن الكريم وأكده في آياته البينات. كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:6]. فالله تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به، ويسأل الرسل أيضاً عن إبلاغ رسالاتهم.

3. الشمول: المسؤولية في الإسلام شاملة شمولاً كاملة، حتى تشمل الشمول الزماني والمكاني والموضوعي.

الشمول الزماني: فالمسؤولية لا تنفك عن المكلف الذي تتوفر فيه شروط التكليف، من أول يوم يبلغ فيه سن التكليف، إلى أن يتوفاه الله تعالى، فلا يملك العبد في حياته فترات حرة يخرج فيها عن دائرة المسؤولية إلا في الحالات الاستثنائية، كما جاء في الحديث (رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ)[48]

الشمول المكاني: فالمسؤولية شاملة للخلق جميعاً أينما كانوا، في دار حرب أو دار الإسلام، وفي سفر أو حضر، وفي قرب أو بعد، فلا تغيب عن علم الله مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وإنما تحصى على صغر حجمها، وأينما كان مكانها، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:47].

الشمول الموضوعي: فالمسؤولية تشمل جميع أعمال الإنسان وتصرفاته، سواء المتعلقة منها بربه، أو المتعلقة بنفسه، أو المتعلقة بغيره، وليس للإنسان من علاقة سوى هذه العلاقات الإنسانية الثلاث. ولا يغني المسلم إحسان علاقة واحدة من هذه العلاقات عن إحسان بقية العلاقات، وفي الحديث: (قال رجل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن فلانة تكثر من صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال صلى الله عليه وسلم: هي في النار، قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقاتها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأنوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال صلى الله عليه وسلم: هي في الجنة)[49]. ومن هنا جاءت وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بإحسان العلاقات الثلاث جميعها فقال: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن).

[48] رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، 544/2، رقم 4402، بتحقيق محمد ميحي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر.

[49] رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ص: 698، حديث رقم: 9673. ط: بيت الأفكار الدولية.

وبعد أن عرفنا المسؤولية لغةً واصطلاحاً، وبعد أن عرفنا أهم خصائصها يمكننا الآن التعرف على أنواع المسؤولية وأهدافها. ويمكن إجمال هذه الأنواع المسؤولية في **المجالات الثلاثة وهي**:

1. المسؤولية تجاه الخالق.

2. المسؤولية تجاه الأسرة.

3. المسؤولية تجاه المجتمع.

المسؤولية تجاه الخالق: إن الله عز وجل لا تنفعه عبادة العابدين، ولا يضره صدود المعرضين والكافرين، ولا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا ينقصه جحود الجاحدين، ولو كانوا على أفجر قلب واحد ما نقص ذلك من ملكه شيئا ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل واحد لم يزد ذلك في ملكه شيئا، ولم يبلغوا ضره فيضروه، ولم يبلغوا نفعه فينفعوه، فهو الغني والكل فقراء إليه، هو الغني عن الوسطاء والحجاب والأنداد. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15]. فهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات، هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه، إذاً علاقة الإنسان مع ربه أسمى العلاقات وميدان المسؤولية فيها أقدس الميادين وذلك؛ لأنها علاقة العبد مع ربه، والمخلوق مع خالقه. وتشمل المسؤولية في هذا الجانب إلى ناحيتين: جانب الاعتقاد وجانب السلوك، أما المسؤولية في جانب الاعتقاد: فتشمل في المحافظة على أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل عليه السلام (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) وفي المحافظة على ما يتعلق بهذه الأركان من مسائل فرعية عقدية، أما المسؤولية في جانب السلوك: فتشمل في المحافظة على أركان الإسلام الخمسة، وما يلحق بها من عبادات فرعية.

المسؤولية تجاه الأسرة: اهتم القرآن الكريم بالأسرة اهتماما بالغا؛ وذلك لأنها أساس بناء المجتمع، لأن من مجموعها يتكون المجتمع فهي بالنسبة له كالخلية لبدن الإنسان، ويترتب على ذلك أن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع ولهذا اعتنى النظام الاجتماعي الإسلامي بالأسرة عناية كبيرة تظهر في الأحكام الكثيرة بشأنها، وأكثر هذه الأحكام وردت بها آيات في القرآن الكريم يتعبد المسلمون بتلاوتها في صلاتهم وفي خارج صلاتهم، فضلا عن الأحاديث النبوية الكريمة الواردة في هذا المجال، وأول العلاقات تتكون بين أفراد الأسرة الواحدة داخل البيت، ثم تتطور تلك العلاقات إلى التعامل مع الأقارب والجيران، ثم مع المجتمع كله وذلك خارج البيت.

فالمسؤولية داخل البيت تتكون من:

1. المسؤولية تجاه الوالدين. 2. المسؤولية تجاه الزوجة.

3. مسؤولية الزوجة تجاه الزوج.4. المسؤولية تجاه الأبناء.

المسؤولية تجاه المجتمع: لقد أوضح القرآن الكريم دور الفرد في النظام الاجتماعي، فهو لا يستطيع أن يعيش منفردا، بل لا بد أن يكون فردا في أسرة وفرداً في أمة، ثم فردا في المجتمع البشري، ثم هو العنصر الأول الذي على عاتقه مسؤولية تكوين وتشكيل الظاهرة الاجتماعية، ودور الفرد الاجتماعي، يتمثل في أداء الواجبات التي فرضها القرآن الكريم، والتي لا تقل أهمية عن الحقوق التي كفلها له القرآن الكريم، والأفراد في ذلك متساوون، لا فرق بين رجل وامرأة[50].وكما تحدثنا آنفاً بأن أول العلاقات تتكون بين أفراد الأسرة الواحدة داخل البيت، ثم تتطور تلك العلاقات إلى التعامل مع الأقارب والجيران، ثم مع المجتمع كله وذلك خارج البيت.

فالمسؤولية خارج البيت تتكون من:

1. المسؤولية تجاه الجار.
2. المسؤولية تجاه الأقارب.
3. المسؤولية تجاه المجتمع بأسره[51].

مقومات المجتمع الإسلامي في عهد رسول الله:

كان المجتمع قبل بعثة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- يعاني من الظلم والفساد، فالقوي يأكل حقّ الضعيف، وله السلطان عليه، ولمّا جاء رسول الله كان لزاماً عليه أن يضع حدوداً لذاك المجتمع الذي تملؤه الهمجية، فوضع مجموعةً من الأسس والمقومات التي قام عليها المجتمع **الإسلامي، ومن هذه المقومات:**

- الإيمان بوحدانية الله؛ فبعد أن كان المجتمع مشتت بعبادة الأوثان وغيرها ممّا لا يضرّ ولا ينفع، اجتمعت قلوبهم على عبادة الله الواحد الأحد، الذي ليس كمثله شيءٌ، فهذا التوحيد نقل شخصيات المجتمع من التشتت والضياع إلى عالم ظهرت فيه معالم الشخصية المسلمة.
- التضامن بين أفراد الأمة الإسلامية؛ وقد قام هذا الأساس على مبادئ التعاون والصفاء والإخاء، ممّا أدّى إلى اندماج أفراد المجتمع فيما بينهم، والقضاء على الفوارق التي كانت قد تفشّت فيما بينهم بناءً على جوانبٍ متعددةٍ، كالعصبية للقبيلة والفوارق الاجتماعية.
- الآداب الأخلاقية والسلوكية وضوابطها؛ وذلك حتى يسير الفرد في مجتمعه سيراً هادفاً ومهذباً، فوضع الإسلام آداباً للاستئذان والدخول على الغير، ووضع الحدود على الجرائم التي تقع في المجتمع، فشرع من أجل ذلك الحدود والقصاص وغيد ذلك.

[50] ينظر فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، تأليف: على خليل أبو العيين، ص: 112 ط: الثانية 1985م دار الفكر العربي.
[51] ينظر أنواع المسؤولية في الإسلام سجاد أحمد بن محمد أفضل.

- الشورى بين أفراد المجتمع؛ فلما كانت غاياتهم واحدة ومشاكلهم مجتمعة، كان لا بدّ من إيجاد الحلول لهذه المشاكل بروح الجماعة واليد الواحدة، ومعبرةً عن روحها الواحدة والإرادة الواعية التي تمثّلها[52].

مسؤولية الدعاة وأهل الحسبة:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان المجتمع، فالمجتمع الذي لا يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهدد بالمخاطر، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78-79]، كما أن أهل العلم بصفة خاصة تقع على عاتقهم هذه المسؤولية العظيمة قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران: 187]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 159-160].

وعلى أئمة المساجد وخطباء المنابر تقع مسؤولية عظيمة، فإن خطبة الجمعة أداة فاعلة في توجيه المجتمع وتحريكه، فمتى ما كان الخطيب موفقًا في اختيار الموضوع متفاعلا معه مؤمنا بقضيته ويهمه أن يحرك لها الناس، كان قائما بالمسؤولية، ومتى جعل من خطبة الجمعة وظيفة يؤديها وهو غير مكترث لها، كان مضيعًا للمسؤولية.

وأخيرًا:

يجب التذكير بأن فوز الدنيا والآخرة مرتهن بالقيام بالمسؤوليات على الوجه الأكمل، وخسارة الدنيا والآخرة في التهرب من المسؤوليات، فمن شمر عن ساعد الجد أعانه الله ووفقه فكان من القائمين بما أوجب الله عليهم المفلحين في الدنيا والآخرة[53].

آثار المسؤولية في التاريخ الإسلامي:

إن أهم ما حرص عليه الإسلام في تعاليمه وتشريعاته هو بناء الشخصية المستقلة للمسلم، وهذه الاستقلالية تمكن المسلم من عدم ذوبان شخصيته في شخصيات المخالفين له في الدين، سواء في عقائدهم أو عباداتهم أو سلوكياتهم.

[52] ينظر أحمد المخزنجي (16-3-2015)، "مقومات المجتمع الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"
[53] ينظر المسؤولية مروان محمد أبو بكر.

فالمسلم هو حامل أعظم رسالة، وأكمل دين، وقد اختاره الله – عز وجل – لكي يكون أمينا على هذا الدين، الذي هو سبيل السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا يتطلب من المسلم أن يكون ذا شخصية مستقلة متفردة حتى يستطيع نشر الحق الذي معه، وتعليمه لكل من حاد عن طريقه، وبعد عن سبيله. وإذا ضاعت شخصية المسلم، وأصبح مقلدا للآخرين ضاع الحق الذي معه، وذهب الدين الصحيح الذي يحمله، لذلك كانت أعظم جناية على الدين هو أن ينسلخ المسلم من شخصيته الإسلامية، وهويته الإيمانية، ويصبح مقلدا لمن يخالفه في الدين سواء في العقائد أو العبادات أو السلوك.

لذلك حرص الإسلام في كثير من تشريعاته على تحقيق الاستقلالية في شخصية المسلم، وترسيخها في عقله وفكره، وغرسها في قلبه وضميره، وهذه التشريعات يمكن تقسيمها إلى عدة محاور ولنبدأ بأول محور **منها وهو:**

1. الاستقلال في المسئولية: قوله تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: 18].

2. الاستقلال في الاعتقاد:

قال تعالى في ذم الذين يقلدون آبائهم في الكفر على حساب الدين الصحيح: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:22].

3. الاستقلال في العبادة:

حرص الإسلام أن يجعل المسلم مستقلا تمام الاستقلال في عبادته، فلا يقلد غيره وخاصة من أهل الكتاب والمشركين، سواء كان هذا في الصلاة أو الصوم أو الحج، لذلك وردت أحاديث كثيرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها توجيه للمسلمين بأن يخالفوا غير المسلمين في هذه العبادات، حتى يحقق لهم الشخصية المستقلة البعيدة عن التشبه بالآخرين وتقليدهم، حتى ولو كانت هذه المشابهة غير مقصودة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)[54]، فهذا التقليد الأعمى ما هو إلا اضطراب في الشخصية وذبذبة في السلوك، فسرعان ما تظهر موضة، يتسارع الشباب لتقليدها دون النظر إلى مشروعيتها.

4. الاستقلال في السلوك:

حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يعلم المسلمين الاستقلال في سلوكهم، وألا يكونوا مقلدين لغيرهم بل ينبغي أن يكون سلوكهم نابعا من دينهم، ملتزما بشرائعه، بعيدا كل البعد عن التقليد للغير، والسير في ركابه.

[54] في الصحيحين عن أبي سعيد -رضي الله عنه.

وقد وردت بعض الأحاديث التي تأمر المسلمين بمخالفة غير المسلمين في بعض سلوكهم؛ لكي يعلم المسلمين الاستقلال وعدم التقليد.

5. الاستقلال في المظهر:

لقد أراد الإسلام من المسلم أن يكون مستقلا في مظهره عن غير المسلم، فلا يقلده في ملبس، ولا يتبعه في هيئة. وبالطبع المقصود هنا هو مخالفة غير المسلم في الملبس والهيئة اللتين أصبحتا من خصائص غير المسلم، مثل لبس ملابس القساوسة والرهبان الخاصة بهم، أو يلبس طاقية اليهود ويضفر شعره ضفيرتين كما هو ظاهر من هيئتهم، وعلى هذا حمل كثير من العلماء حديث رسول الله (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[55].

6. الاستقلال في المال:

من المعلوم أن الإنسان في الغالب أسير لمن يحسن إليه، وينفق عليه. وكلما أنفق عليه كلما طوَّقه بجميله، وجعله رهن إشارته وعند ذلك يفقد شخصيته، ويصبح كالعبد بين يديه؛ لذلك كان من أكثر ما يجعل للإنسان استقلالية في شخصيته ورأيه ومواقفه أن يكون مستقلا في ماله، فلا يتواكل على أحد، ولا يريق ماء وجهه في السؤال، لذلك أمرنا الله – عز وجل – بالسعي في الحياة حتى نحصل أرزاقنا، ونعف أنفسنا عن مهانة المسألة وذل الطلب، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15][56].

من خلال كل ما سبق ذكره يتبين لنا حرص الشريعة على تحقيق المسؤولية والاستقلالية الكاملة للمسلم، وتربيته على هذه الاستقلالية، وغرسها في قلبه وضميره، وعندها يكون هو القائد لا المقود، المتبوع لا التابع وبذلك يحافظ على دينه وعقيدته من الذوبان في أديان الآخرين وعقائدهم، وبذلك يكون هو المسلم المنشود الذي به يُنصَر الدين، ويعلو الإسلام ويُرفع به لواء الحق في كل زمان ومكان.

المطلب الثاني: مقارنة بين بناء المنهج الإسلامي وبين منهج الإنسان المادي، في التاريخ البشري:

إذا أمعنا النظر إلى المنهج الإسلامي في بناء الأسرة وعقدنا مقارنة بينه وبين المنهج المادي، نستطيع أن نستخلص عدة فروق جوهرية بين المنهجين، من حيث طبيعة كل منهج والخصائص التي يتصف بها، والآثار الناجمة عنه، وهي قضية جديرة بالاهتمام والدراسة حتى يزول الغبش عن عيون الذين انبهروا

[55] في مسند أحمد بإسناد جيد عن ابن عمر -رضي الله عنهما.
[56] ينظر الإسلام وأثره في بناء الشخصية المستقلة للمسلم
د / أنس الغنام.

بمناهج الغرب واخذوا يسيرون في ركبه ولو على حساب دينهم وقيمهم، ويضيق المجال هنا عن الغوص في التفاصيل، وحسبنا أن نستعرض الخطوط العامة الفاصلة بين المنهجين، والتي تتمثل بالنقاط التالية:

أولاً: الصبغة الدينية:

لاشكّ بأنّ الصبغة الدينية هي من أبرز ما يتميز به المنهج الإسلامي في مجال الأسرة، فمن المعلوم أن التشريع الإسلامي . عموماً . وما يتعلق منه بالأسرة على وجه الخصوص إلهي المصدر ويتمثل بالوحي، أما المنهج المادي فهو من صنع البشر أنفسهم، الذين لا يمكنهم الانسلاخ عن طبائعهم البشرية، وعليه، فهو يعكس مصالحهم، وينسجم مع أهوائهم وشهواتهم، ويكون في غالب الأحيان . قاصراً وعرضة للتبدل الدائم.

ولما كان الدين يشكل قطب الرحى في توجهات الإسلام الاجتماعية نجد التأكيد على التماثل الديني بين الزوجين عند تكوين الأسرة. فالإسلام . كما هو معلوم . يُحرّم زواج المسلمين من عبدة الأوثان والأصنام من أتباع الديانات الوضعية، أي الذين يعبدون الشمس والقمر والأشجار وما إلى ذلك، فكل هؤلاء أشركوا مع الله إلهاً سواه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة:221]. فلم يبح الإسلام زواج المسلم من مشركة؛ لأن الزواج سكينة ومودة، ولا يمكن أن يتحققا مع الاختلاف الشاسع في الاعتقاد، ثم إن هكذا زواج سوف يؤثر على دين الأولاد، الذين هم مسلمون تبعاً لأبيهم ولكن وجودهم بجنب أُمهم المشركة سوف يؤدّي إلى زعزعة عقائدهم وقيمهم، اللافت للنظر أن الإسلام يجوّز للرجل الزواج من الكتابية. على الرأي القائل بجوازه . وذلك لأنّ المرأة غالباً ما تتأثر بأدب زوجها وديانته، ولو أنّ المرأة غير المسلمة طعنت في دين زوجها المسلم، فإنه يستطيع الدفاع عن دينه بما له من قيمومة، وبإمكانه أن يتخلّص منها بالطلاق الذي هو في عصمته، ومما تقدم تبين لنا بأن أهم ما يمتاز به المنهج الإسلامي بالمقارنة مع المنهج المادي أنّه ذو صبغة دينية لقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[البقرة:138].

ثانياً: الصفة الأخلاقية:

يعتبر المنهج الإسلامي الأخلاق الفاضلة من الدعائم الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الفاضل، وخاصة مجتمع الأسرة، ولهذا فهو يحرص أشد الحرص على صيانة الأخلاق وترسيخها والتصدي لكلّ من يخل بها.

أما المنهج المادي فيكاد يهمل المسائل الأخلاقية ولا يعتني بها إلاّ إذا أصاب ضررها المباشر مصالح الأفراد أو أخل بالأمن والنظام العام.

ثالثاً: النظرة الواقعية:

إنّ المنهج الإسلامي ينسجم مع الفطرة البشرية، ويراعي عوامل ضعف الإنسان وعناصر قوته، وفيما يتعلق بنظام الأسرة نجد أن التشريع المختص بالرّجل يختلف من أوجه عديدة عن التشريع الموضوع للمرأة، ولم يأتِ هذا الاختلاف اعتباطاً أو على نحو الصدفة، وإنّما يعكس من الناحية الواقعية طبيعة الدور الذي يؤديه كل واحد منهما في قيادة سفينة الأسرة.

ويمكن للباحث أن يتلمّس السمة الواقعية التي تطبع المنهج الأسري الإسلامي بالمقارنة مع المنهج المادي من **خلال الفوارق التالية:**

1. قيمومة الرجل:

تبنّى الإسلام النظام الأبوي فمنح الرجل قيمومة على المرأة بعد أن ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228]. ولم يمنح الإسلام الرجل الكلمة العليا في الأسرة إلاّ بعد أن كلّفه بالإنفاق على الزوجة وأطفالها وتوفير الرعاية والحماية لهم، وبطبيعة الحال لا يستقيم مع مبدأ العدالة والإنصاف أن يكلّف الرجل بالإنفاق والحماية بدون أن يُمنح ميزة إضافية تمكنه من الإشراف على الأسرة وإدارة شؤونها.

2. إباحة الطلاق:

إنّ الإسلام شرع الزواج وأحاطه بكلّ الضمانات ليستقر فيؤتي ثماره الطيبة بتشكيل الأسرة وإنجاب الذرية ، ولما كان المنهج الإسلامي يتصف بالواقعية فقد أخذ بنظر الاعتبار كل ما يعكّر صفو الحياة الزوجية من حصول الشقاق من جراء تنافر القلوب أو انكشاف ما خفي من العيوب بعد الاقتران أو إصابة أحد الزوجين بمرض لا يستطيع معه المعاشرة مما يجعل الحياة الزوجية جحيماً لا يُطاق ، وعليه فقد أباح الطلاق وجعله بمثابة الكي الذي هو آخر الدواء ، علما بانه أحاطه بهالة من الكراهية والمبغوضية للتنفير منه واعتباره أبغض الحلال إلى الله[57].

رابعاً: الشمول والكمال:

لاشكّ بأنّ المنهج الإسلامي أتمّ وأكمل المناهج السماوية فضلاً عن المناهج الوضعية، لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

[57] أنظر: المرأة في الإسلام.

خامساً: العدل:

من مظاهر سمّو وكمال المنهج الإسلامي، أنه يجعل العدل والقسط حجر الزاوية في توجّهاته الاجتماعية وخاصّة في مجال الأسرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: 135].

الآثار المترتبة على المنهج الإسلامي والمادي:

وهنا لابدّ من التطرق للآثار الاجتماعية والتربوية والأخلاقية التي تترتّب على المنهجين، وتنعكس . سلباً أو إيجاباً . على الفرد أو المجتمع.

أ . الآثار الاجتماعية:

إنّ الأسرة المسلمة تقوم على أسس واضحة من السكينة والمودَّة والرَّحمة، إذ تشكّل القيم الدينية والقواعد الأخلاقية السور الوقائي لأفرادها، فالرجل هو قائد دفّة سفينة الأسرة وله قيمومة عليها، بينما المرأة تضطلع بوظيفة مزدوجة، فهي زوجة وأمّ ترضي زوجها وترعى أطفالها، فهي البيئة الاجتماعية الأولى التي تساهم في توفير حوائجهم وتربيتهم وتشكيل الهوية الدينية لهم وتغرس فيهم المثل الأخلاقية.

وهكذا نجد انعطافاً اجتماعياً حاداً في أنماط السلوك الغربي نتيجة لإضعاف دور الأسرة، يقول بعض الباحثين الاجتماعيين: إننا لوعدنا إلى مجتمعنا الذي نعيش فيه فزرنا السجون ودور البغاء ومستشفيات الأمراض العقلية، ثم دخلنا المدارس وأحصينا الراسبين من الطلاب، ثم درسنا من نعرفهم من هؤلاء لوجدنا أن معظمهم حُرموا من الاستقرار العائلي، ولم يجد معظمهم بيتاً هادئاً من أب يحدب عليهم وأُمّ تدرك معنى الشفقة، وفساد البيت كان السبب في ضياع هذا الجيل الذي لا يعرف هدفاً، ولا يُعرف له مستقراً[58].

ب . الآثار التربوية:

من المعلوم أن الهدف الأساس للتربية في الإسلام هو تأهيل الإنسان لكي يتمسّك بالقيم الدينية، ويتحلى بالأخلاق الفاضلة، وبالتالي يكون مسيطراً على نزواته وأهوائه النفسية من خلال أساليب تربوية عديدة، كالتوجيه، والموعظة النافعة، وأسلوب القدوة، والأسوة الحسنة، وأسلوب القصّة، وما إلى ذلك من أساليب تصل في نهاية المطاف إلى أسلوب العقوبة.

[58] أنظر: النظام التربوي في الإسلام | باقر شريف القرشي: 77.

وقد ثبت بالتجربة أن قاعدة «القدوة والأسوة» التي تتمّ داخل الأسرة هي أساس التربية فالأطفال يأخذون بالتقليد والمحاكاة أكثر ممّا يأخذون بالنصح والإرشاد[59].

جـ. الآثار الأخلاقية:

يتّصف المجتمع الإسلامي . عموماً . بالتماسك الأسري بالمقارنة مع مثيله الغربي نتيجة للمناعة الذاتية التي يحصل عليها أفراده من خلال تمسّكهم بالأخلاق الحميدة التي تدفع الوالدين إلى الاحترام المتبادل وتحثّ الآباء على إحاطة أولادهم بسياج من الحماية والرعاية ، وبالمقابل تلزم الأولاد على البرّ والإحسان إلى الوالدين ، فتصبح الأسرة . والحال هذه . متلاحمة كسبيكة صلبة يصعب تفكيكها، ومن نماذج الأسرة الكريمة المتمسكة بمكارم الأخلاق الإسلامية ، أسرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآلة وسلم ، الذي عاش مع زوجته خديجة خمسة وعشرين عاما ، في تمام الانسجام والصفاء والحبّ المتبادل ، وبعد وفاتها لم ينفكّ يردّد ذكراها الطيبة على لسانه بين نسائه ، فالحبّ الذي يكنّه الرسول صلى الله عليه وآلة وسلم لخديجة كان مبعثه نبلها ، وسموّ خلقها ، ووفاؤها ، إلى الإسلام.

أما المنهج المادي الذي يدير ظهره للأخلاق، فيعرض لنا نماذج بشعة من التردّي والانحطاط على الرغم من الرفاهية وبحبوحة العيش في الغرب.

ولقد أصبحت الأسرة لا معنى لها في الظروف الاجتماعية الحديثة في الغرب، بعد أن ضعفت عاطفة الأمومة، وانحلّت الرابطة الزوجية، حتى يمكن القول بأنّ الأسرة يكاد يختفي رسمها وإن بقي أسمها في سجلاّت القانون[60].

ومما يتضح لي بعد المقارنة بين المنهج الإسلامي والمنهج المادي في بناء الإنسان وتربيته وبناء الأسرة أن الإسلام اعتنى بجميع تفاصيل الحياة الدنيوية والأخروية ولم يهمل أي جانب آخر من جوانب الحياة ووصلها بالطاعة والعبادة والآخرة أما المنهج المادي فكان يقتصر على الحياة الدنيا دون ربطها بالحياة الأخرة.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن الخلوص بمجموعة من النتائج والتوصيات، كان من أهمها.

أولاً: النتائج

- توضيح المصطلحات التي لها علاقة بالموضوع:

[59] ينظر التربية وبناء الأجيال | أنور الجندي: 168.

[60] الفصل الثالث مقارنة بين المنهج الإسلامي والمنهج المادي في بناء الأسرة المجموعة: الأسرة في المجتمع الإسلامي.

" المنهج النبوي - بناء الإنسان - المسؤولية الفردية"

- إبراز أهم المميزات التي تميز بها المنهج النبوي عن غيره من المناهج.
- توضيح ارتباط المنهج النبوي بالقران والسنه.
- إظهار طرق تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه.
- شرح الوعي والمسؤولية الفردية وعلاقتها بالتربية والبناء.
- بيان بناء المسؤولية في الدينية في الإنسان المسلم وأثرها في التاريخ الإسلامي.
- توضيح الأمور التي تجعل اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم أولوية أساسية في الحياة.

ثانياً: التوصيات

وفي نهاية هذه الدراسة أوصي المربينّ وأولياء الأمور بأن يتبعوا منهج النبي –صلى الله عليه وسلم – في التربية والبناء والتأكيد على المسؤولية الفردية لتكوين جيل ناجح مميز.

- أوصي الباحثين والدارسين في مختلف التخصصات إلى الاهتمام بإجراء المزيد من الدراسات العلمية حول منهج النبي صلى الله عليه وسلم في جميع المجالات.
- اعتماد منهج دراسي مناسب ومتطور ومتجدد فيه أسلوب تربوي فكري لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في البناء والتربية.
- المبادرة الى تعليم أصول العقيدة للجيل الناشئ في المراحل الأساسية من أعمارهم من أجل تحصين أفكارهم وحمايتها من الانحراف.
- الحرص على غرس الشعور بالمسؤولية الفردية في الجيل الجديد وتكوين مجتمع يدرك أهمية هذه المسؤولية.

قائمة المصادر والمراجع

1- القران الكريم مصحف المدينة.
2- السنة النبوية.
3- ابن حجر.
4- ابن منظور، لسان العرب
5- أحمد المخزنجي "مقومات المجتمع الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"
6- الأربعين النووية.
7- أساسيات بناء المرتكزات الإيمانية والتعبدية في النشء المسلم د. عبد الكريم القاسم الحداد.
8- الأسرة في المجتمع الإسلامي.
9- الإسلام وأثره في بناء الشخصية المستقلة للمسلم

10- اشتمال القرآن على السنة الكاتب: إسلام ويب التصنيف: مكانة السنة النبوية.
11- أنواع المسؤولية في الإسلام سجاد أحمد بن محمد أفضل.
12- التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر
13- التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر وفقه السيرة لمحمد الغزالي،
14- تربية النبي لأصحابه الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
15- التربية وبناء الأجيال أنور الجندي
16- تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي.
17- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
18- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي.
19- الرحيق المختوم.
20- زاد المعاد 63/3، والرحيق المختوم ص180.
21- سنة الرسول . صلى الله عليه وسلم . في البناء والإعداد
22- سنن أبو داود.
23- سنن البيهقي الكبرى
24- السيرة النبوية دروس وعبر، وهذا الحبيب يا محب
25- صحيح البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه
26- صحيح البخاري.
27- صحيح الترمذي
28- الفصل الثالث مقارنة بين المنهج الإسلامي والمنهج المادي في بناء الأسرة.
29- فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، تأليف: على خليل أبو العيين، ص: 112 ط: الثانية 1985م دار الفكر العربي.
30- القاموس المحيط
31- كتاب منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ سويد.
32- الكليات
33- محاسن التأويل
34- المرأة في الإسلام.
35- مسلم في كتاب البر، مع الفتح في كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً وكتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه

36- المسؤولية الفردية في القران الكريم، دحاني عبد العزيز، بو عزيز احمد
37- المسؤولية مروان محمد أبو بكر.
38- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي
39- معجم اللغة العربية المعاصرة .للدكتور. أحمد مختار عبد الحميد عمر
40- معجم المعاني الجامع..
41- ملخص بحث: تنمية الشعور بالمسؤولية عند أفراد المجتمع (بحث تاسع)
42- مميزات المنهج النبوي د. سمير مثنى علي الأبارة.
43- منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في التربية والتعليم.
44- النظام التربوي في الإسلام | باقر شريف القرشي: 77.
45- هذا الحبيب يا محب، لأبي بكر الجزائري ص178.
46- ياسين، عبد السلام، مقدمات في المنهاج، موسوعة سراج.